

## الأستاذ عبد الرحمن شكرى

عبد الرحمن شكرى أحد زعماء الشعر العربى فى عصره، وهو أول ثلاثة انتقلوا بالمنحى الشعرى من ضرب إلى ضرب، حيث عملوا على تأصيل قواعد تجديدية تتصل بالوحدة العضوية، والتجربة الشعرية، والتحليل العميق للنفس الإنسانية، وتنوع القافية تنوعاً لا تشذ به الموسيقى الخارجية التى تطلبها الأذن السامعة، ولكن ظروفًا فوق إرادته، جعلته يعتزل الناس مدة طويلة فى كهولته، ثم أجبره المرض على الاعتزال القهرى فى شيخوخته، وكنت فى الخمسينيات أعرف أنه يُقيم بالإسكندرية، وأحس رغبةً حارةً فى لقائه، والتمتع بتوجيهه، وقد أخبرتُ تلميذه ومريده الوفى الأستاذ (نقولا يوسف) برغبتى فى هذه المقابلة، والأستاذ نقولا رقيقُ الحس، نبيل الشعور، فلم يشأ أن يقول إن ظروفه الشخصية والمنزلية لا تتيح اللقاء على وجه سريع، بل قال إنه سيرعى إنجاز هذه المسألة متى سمحت الأحوال. ودعوتُ الله أن تسمح.

وفى سنة ١٩٥٧ كتبَ إلى الأستاذ نقولا يقول، إنه اتفق مع الأستاذ أسعد حُسنى رئيس تحرير مجلة العالم العربى أن يُصدر عددًا ممتازًا من المجلة خاصة بأدب الأستاذ شكرى، وريادته الشعرية، وقد دعا صفوةً من تلاميذه إلى المشاركة فى تحرير هذا العدد، لذلك يرجو أن أسهمَ بكلمة شافية تتفق وهذه المناسبة الكريمة، لأنّ العدد سينشر بمناسبة بلوغ الشاعر الكبير سنّ السبعين، ولأمر أراده الله لم يصل الخطاب فى حينه، بل توجه إلى مدرسة بالمنصورة غير التى أقوم بالتدريس بها، وحمله بعض الزملاء فى جيبه، ثم إلى منزله حتى يلقانى مصادفةً، ولم يتيسر اللقاء إلا بعد صدور العدد، فأسفتُ أسفًا شديدًا لضیاع هذه السانحة،

وكتبتُ للأستاذ نقولاً أعلن له حقيقة ما كان، فردّ مسامحاً، وقال: إن الفرصة لاتزال مهيأةً، فصاحب مجلة العالم العربي يُرحّب بكل مقال يبحثُ في آثار عبد الرحمن شكرى، وقد أنبأه أن العدد الخاص به لاقىَ رواجاً غير متظر، فلم يرجع منه شيء إلى مخزن المجلة، وأن الأستاذ شكرى كان سعيداً بهذا الرواج سعادة تامة.

### المقال الأول:

وقد سارعتُ فكتبتُ مقالاً حول نظرات شكرى في الأدب العربي، لأنّ الشاعر الكبير كان قد نشر بمجلتي الرسالة والمقتطف عدّة مقالات عن الشعراء الكبار فى العصر العباسى، من أمثال أبى تمام، والبحتري، وابن الرومى، والشريف الرضى، والمتنبى، ومهيار، وأبى العلاء، وأبى نواس، أتى فيها بالجديد الطريف، وكان كل بحث خاص يقوم مقام مؤلف مستقل فى كتاب منفرد، لأن نظرات الناقد الحصيف كانت من الطرافة وصدق الاستشفاف، ودقة النظرة بحيثُ فاجأت القراء بما لا يعلمون عن شعراء كبار كثر الحديث عنهم كثرةً تفوق الحصر، وكتبتُ عنهم الأجزاء المتعددة شرقاً وغرباً، حافلةً بما راق وشاق، ولكن نظرات شكرى الصائبة أضافت الجديد. ثم أرسلتُ المقال إلى الأستاذ أسعد حسنى، فبادر بنشره، وأعلمت الأستاذ نقولاً يوسف بما كان، فكتب إلى على عجلٍ يقول: إن ماكتبتهُ صادفَ ارتياح الأديب الكبير، وأنه قرأه مسروراً كل السرور، وذكر أن الأقلام تتناوله شاعراً لاناقدًا، وأن هذا المقال قد ذكّر الناس به ناقدًا ذاجدًا واجتهادًا، كما أنّه وضع سطوراً تحت أفكار يخالفنى فيها، ولم يشأ الأستاذ نقولاً أن يسأله عن وجه المخالفة، ولكن سرور شكرى بالمقال أعادَ إليه رجاءً فى أبناء الجيل الجديد، إذ عرف أنهم لم ينسوه شاعراً وناقدًا.

### المقال الثانى:

قرأتُ خطاب الأستاذ نقولاً، فصمّمت على أن أعيد الكرّة، متحدثاً عن بعض مقالات الشاعر النقدية، ما دام الحديث عن نتاجه الأدبى المنشور قد صادفَ

ارتياحه، وكنتُ أعرفُ أنه خاض معركة نقدية تحت عنوان (بين القديم والجديد)،  
بمجلة الرسالة استغرقتُ عدة أشهر متتالية، لأن الأستاذ الكبير محمد أحمد  
الغمرأوى كان قد نشر عدة مقالات عن القديم والجديد في الأدب العصري، ذهب  
فيها إلى أن المجددين من الشعراء والكتّاب يحاربون القديم انتصاراً للتحلل  
والمروق، لارغبةً في التجديد، ولما كان الأستاذ شكري من زعماء التجديد الأدبي  
المعاصر، فقد رأى أن يعارض ما أتجه إليه الأستاذ الغمرأوى، فنشرَ عدة مقالات  
لم تكنُ مهوراً باسمه، ولكنّ الزيات قال إنها بقلم (أحد أساطين الأدب  
الحديث)، وعرفَ النابهون من القراء أنّ شكري صاحبُ هذه المقالات، لأن  
أسلوبه مشتهر ذائع، وطريقته التحليلية لاتخفى على مُطلعٍ مثابر، وكان من رأى  
شكري أنّ التحلل يوجد في الأدب القديم كما يوجد في الأدب المعاصر، وأن  
التصوّن كذلك يوجد في الأدبين، وليس المجون في الأدب المعاصر وليدَ التأثير  
بالأدب الأوربي، لأنه وُجد في الأدب العربي جاهلياً وإسلامياً، وطبائع النفس  
البشرية هي هي في كل زمان ومكان، قرأتُ هذه المقالات حين صدورها،  
ووجّهتني توجيهاً صحيحاً إلى حقائق أدبيّة كنتُ أجهلها، فكتبتُ مقالا تحت  
عنوان: (شكري بين القديم والجديد)، وأرسلتهُ إلى مجلة العالم العربي، فنُشر  
بدون إبطاء، وحمله الأستاذ نقولا إلى الشاعر الكبير، فبدأ بمراسلتي شاكرًا، وقد  
حزنتُ كثيراً حين جاءني خطُّه المريض مُبعثراً في الصحيفة، إذ كان يعاني من  
الشلل، ومع ذلك أصرَّ على كتابة الخطاب إصراراً كلّفه كثيراً من الجهد والوقت،  
إذا لا يستطيع أن يكتبَ الكلمة الواحدة ويدهُ ترتجفُ بدون مشقة أليمة، ولا أكتُم  
القراء أنّي تأثرت حتى سقط الدمع من عيني!! ورددت عليه رداً مستفيضاً حافلاً  
أخبره بتقدير الجميع لأدبه وريادته، وأنّ اعتزاله المتكرر، لم يُنسِ الناس جهاده  
الظافر في إقامة الصرح الأدبي الحديث، وأن التاريخ لا ينسى أقدار النابغين.

### خطاب تال:

وبعد عدة أسابيع، وصلني خطاب تال من الشاعر الكبير يعلن أنه قد ارتاح لما  
كتبت في خطابي السالف، ويطلب أن أبحث له في المنصورة عن دواء لأُوجد

بصيدليات الإسكندرية، وهو ضروريٌ بالنسبة إليه، وأرفق ثمن الدواء بالخطاب، وقد بادرتُ أبحثُ عمّا طلب، فلم أجده بالمنصورة، وعز عليّ ألاّ أكونَ محققًا لرجائه، فبادرتُ إلى صيدليات الأقاليم المجاورة باحثًا مثابرًا، حتى عثرتُ عليه فى إحدى صيدليات مدينة (بلقاس) فأحضرتُ كميةً كبيرةً منه، حذرًا من نفاذها مع احتياج الشاعر إليها، ثم سافرتُ إلى الإسكندرية متّجهًا إلى منزل صديقى الأستاذ نقولا يوسف، وأرّيته ما أحمل من الدواء، ففرح كثيرًا، وقال: إنّ الشاعر سيُسرُّ بلقائك لأنه لا ينقطع عن ذكرك، وقد حان موعد رؤيته فهياً. وسعدتُ كثيرًا بزيارة الرجل الكبير، ولكنى كنتُ أتقطعُ صامتًا لما لمستهُ من وطأة المرض الذى جعله شبحًا لا إنسانًا، وحاولتُ أن أسرع فى الذهاب مخافة أن يظهر على وجهى ما يدل على ألمى المبرح فأزيد الرجلُ ألمًا، فتعلّلتُ بانتظار أحد الأقرباء لى وفق موعد قد حان، وخرجت مع صديقى وأنا لا أملك نفسى من الحزن.

### المقال الثالث:

وإيمانًا بما قاله صديقى نقولا من ارتياح الشاعر لما أكتب، حاولتُ أن أسره بمقال جديد، إذ قرأتُ دراسةً جيدةً عنه فى كتابٍ عن الأدب المعاصر للدكتور شوقى ضيف، ذهب فيه إلى أن نزعة التشاؤم تغلبت على شعر شكرى، وعلّل هذه النزعة لدى شعراء التجديد بآراء استمدّها من استنتاجه الخاص، ومع تقديري الكبير للدكتور شوقى ضيف، فقد رأيتُ أن أخالفه فى حكمه بغلبة التشاؤم على شعر الرجل، لأنّ نتاجه الأدبى يجمع التفاؤل إلى التشاؤم، والنفس الإنسانية لاتستقر على حالة واحدة، فبينما يسرّ الإنسان فى الصباح إذ يدهمه فى المساء ما يُحزنه، فيقول الشعر فيما يسرّ ويسىء معًا، ثم استشهدت بقصائد كثيرة تنحو منحى التفاؤل بجوار ما استشهد به الدكتور شوقى ضيف من قصائده التى تنحو منحى التشاؤم، وكتبتُ مقالًا تحت عنوان «شكرى بين التفاؤل والتشاؤم» بسطتُ وجهة نظرى بما أملك من الدليل، وأرسلتُ به إلى الأستاذ شكرى بعد نشره، فردّ سريعًا يطلب كتاب الدكتور شوقى، وكان أخى الأستاذ سعيد الشرباصى متّجهًا إلى الإسكندرية، فبعثتُ به معه، وقابل الأستاذ، فرحّب به ترحيبًا كبيرًا، ثم رأيتُ

الكتاب يجيء إلى البريد المسجل بعد أن قرأه الشاعر، وفي طيه رسالة صغيرة يقول فيها: إن الدكتور شوقي مع تسجيله نزعة التشاؤم لدى، لم ينكر على إيماني بالمستقبل. وقد استمرت المراسلات بيني وبين الشاعر الكبير، يكتبها بقلمه الأشمل موجزةً مركزة، فأفرحُ بها كثيراً كثيراً، وقد كتبتُ إليه قائلاً: إني لا أريد رداً، فأنا أعلمُ ظروفه الصحيّة، وكان مع ذلك يُسرّع في الرد المبادر، ولا سبيل إلى الامتناع عن مراسلته لأنه يطلبها، ويحثني الأستاذ نقولاً عليها، وكنتُ عرضت عليه أن أقوم بطبع بعض آثاره إذا استطعت، فأرسل إلى تفويضاً كتابياً بذلك.

### ديوان شكري:

انتقل شكري إلى رحمة ربه، وتحديث الصحف اليومية والأسبوعية عن مأساة اعتزاله، وإهمال القائمين على الثقافة لأمره، ودعت إلى إحياء آثاره الأدبية التي طبعت منذ أكثر من ربع قرن، ولم يعرف عنها الجيل الحاضر شيئاً، ولكن هذه الدعوة المخلصة ذهبت هباءً بدون استجابة، وهنا نهض أحد الموسرين من تلاميذ عبد الرحمن شكري حين كان أستاذاً بإحدى المدارس الثانوية بالإسكندرية، وهو الأستاذ عبد العزيز مخيون، فصمم على نشر ديوان شكري إحياءً لذكراه، واتصل بالأستاذ نقولاً يوسف لتحقيق هذا المأرب، وسارع نقولاً بالاتصال بي، لأن معي تفويضاً من الشاعر بطبع ما أريد من مؤلفاته، وهذا ما يسهلُ نشر الديوان بدون صعوبات قانونية، وقد حضر الأستاذ نقولاً لزيارتي بالمنصورة، واتفق معي على أن يقوم هو بجمع أجزاء الدواوين المتفرقة، وهي جميعها لديه، تاركاً لي أن أقوم بجمع ما تفرق في المجلات الأدبية من شعر لم يُنشر في أجزاء الديوان، وهي مهمة من الصعوبة بمكان، لأنني أقيم بالمنصورة حينئذ، والدوريات الأدبية بالقاهرة، ولا سبيل إلى الذهاب للعاصمة إلا يوم الجمعة نظراً لعملي الرسمي، ولم أشأ أن أنكل عن عمل أدبي أعده دينا في عنقي للشاعر الكبير، فصممت على السفر المتواصل حتى جمعت ما أقدرني الله عليه، وقدمته للأستاذ نقولاً، فطلب مني مقدمة للديوان حدّد حيزها المتواضع، على أن يكتب هو مقدمةً تشمل حياة الشاعر وما يعرفه من اتصالاته وأخباره، فجاءت مقدمته ضافية واسعة، وعتبتُ

عليه أن حدد لي مساحةً متواضعة بحيث تضاءلت كلمتي جوار كلمته، ولكن هذا ما كان، ثم صدر الديوان وفي مقدمته إشارةً إلى ما قمتُ بجمعه من القصائد المتفرقة، ومن الاعتراف بالجميل لأصحابه أن أذكر أن أختي الأستاذة الدكتورة محمد السعدى فرهود قد استدركت على عدة قصائد جمعها في كتاب خاص، كما استدركت صديقي الأستاذ المحقق محمد محمود حمدان قصائد أخرى ما زال يحاول جمعها وهما يشكران على هذا، إذ أن ظروف الضيقة لم تسمح بأكثر مما قدمت، وهو جهد المقل، كما يقال في المثل العربي، وقد ظهر الديوان رائعاً فخماً، مطبوعاً على ورق مصقول، ذا حجم لافت للنظر، وبذلك تهيأ للدارسين أن يقولوا ما يشاءون في تحليل روائع هذا الشاعر الكبير.

### لقاء العقاد:

شاء الأستاذ عبد العزيز مخيون أن يهدي للأستاذ الكبير عباس محمود العقاد عدة نسخ من ديوان شكري، لأنه زميله في النضال الأدبي، وقد كتب الأستاذ العقاد عند رحيل صديقه عدة مقالات قوية عن أثره الرائد في التجديد الأدبي نشرها بالهلال، والشهر، ويوميات الأخبار، كما رثاه بقصيدة حارة بالأخبار فور رحيله، قال في مطلعها:

بعد إبراهيم شكري اليوم أودى قرب الرحيل، لقد قارب جداً

وإبراهيم هو إبراهيم عبد القادر المازني، ثالث الرفقة، وقد أسهموا معاً في تصحيح كثير من الآراء المخطئة في حقل الأدب، وعرفوا في النقد المعاصر بأنهم أصحاب مدرسة الديوان، ولتفصيل ذلك مجال آخر، اتسع به الحديث، وتعددت اتجاهاته ومراميه.

أجل، شاء الأستاذ مخيون أن يهدي الديوان للأستاذ العقاد، فرأى أن يصحبني مع الأستاذ نقولاً لزيارة الشاعر الكبير في ندوة الجمعة، وفوجئ العقاد بظهور الديوان في سمته الرائع، فشكر الأستاذ مخيون على قيامه بطبع هذا الأثر

النفيس، وعدّ ذلك مكرمةً نادرة، وخاصة في حديث شكرى، سارداً أعذب  
الذكريات عنه، ومشيراً إلى ماجدّ من خلاف بينه وبين المازنى لم يلبث أن انقشع،  
لأنّ المازنى قد ترضى صاحبه، وعاد الود كما كان، لا كما يزعم من يحاولون  
تأريث العداة ظالمين.

وخرَجنا من ندوة العقاد سعاداء بلقائه، ثم وزّع الأستاذ مخيون عشرات من  
الديوان على من يعرفهم من كبار الأدباء، فكثرت الحديث عن شكرى، وتبوأ بديوانه  
الحافل مكانه الجهير..

\*\*\*

## الدكتور منصور فهمى

فى النصف الأول من القرن العشرين كان اسم الدكتور منصور فهمى يملأ الأندية الثقافية، ويشغل ذوى الفكر، إذ كانت جولاته الفكرية فى الصحف والمجلات متجاوبة الأصدقاء، وقد خاض نقاشاً متصل الحلقات مع نفر من ذوى الريادة الأدبية، فكان رايه موضع التقدير والاحتفال، وحين كنتُ طالباً بكلية اللغة العربية قرأتُ إعلاناً بجريدة الأهرام عن مناقشة رسالة فلسفية بكلية أصول الدين، يرأس لجنتها الأستاذ الدكتور منصور فهمى باشا، رئيس جامعة الإسكندرية السابق، فحرصت أن أحضر هذه المناقشة لأرى ذلك العملاق الذى قرأت له، وقرأت عنه، وأعرف كيف يدير النقاش العلمى فى محيط أزهرى، يشاهده لأول مرة رئيساً يوجه المناقشة، ويقرر الحكم.

و حين أرف الموعد هرعت إلى صالة المناقشة بكلية أصول الدين، فشهدت من الجموع المتزاحمة ما لا عهد لى به فى المناقشات الجامعية، كما وجدتُ فى الكلية قُساً من كبار رجال الدين المسيحى، ومجموعة من الأنسات والسيدات يحضرن لاستيعاب مناقشة فلسفية فى إحدى كليات الأزهر، وبعد لحظات صعدت لجنة المناقشة إلى المنصة، يتقدمها الدكتور منصور فهمى، ومعه الأساتذة الدكاترة: محمد البهى، ومحمد غلاب، ومحمود حب الله، ومحمود الخضيرى، وهم من صفوة أساتذة الفلسفة فى مصر، وقد تخرجوا من الجامعات الأوربية، ونالوا أرقى شهاداتها عن استحقاق.

وكان المؤلف أن يفتتح رئيس اللجنة المناقشة بكلمة يسيرة، يقدم فيها الطالب،

ويشير إلى موضوع الرسالة، ولكنّ الدكتور منصور فهمى أفاض إفاضة شافية فى تقديمه، فذكر أن دائرة الفلسفة قد اتسعت فى مصر، إذ امتدت من الجامعة إلى الأزهر، وهذا ما لاغرابة فيه، فكتبُ الفلسفة لها مكائنها عند الأزهريين، وشيخ الأزهر اليوم (يريد الأستاذ الأكبر مصطفى عبد الرازق وكان شيخ الأزهر حينئذ) هو أستاذ الفلسفة بكلية الآداب لأكثر من عشر سنوات، وله بحوئه العميقة المتزنة، وطالبُ اليوم الأستاذ محمد فتح الله بدران يتقدم برسالة دقيقة حول كتاب «الملل والنحل» للشهر ستانى، ومعنى ذلك أن الأزهر فى عهده الحاضر قد لبى روح الزمن، واتصل بالنهضة العلمية المعاصرة محافظاً على طابعه المنهجى، ومقدراً فى رحاب الفلسفة وجهات النظر المختلفة، ومصوباً ما يراه موضع التصويب، وستتبادل الجامعات فى مصر والخارج رسائله العلمية لتكون موضع الدراسة والتنويه، وفى هذا التلاقح الفكرى ما يدفع بركب الإنسانية إلى التقدّم، وقد حرص الإسلام على حرية الفكر، ودعا إلى سبيل الله بالحكمة.

وامتدت كلمة الدكتور حول هذه المعانى فى هدوء تشع منه روح الفيلسوف، ثم تقدم الباحث فعرض موضوع الرسالة وما انتهى إليه من نتائج، وخاض ليج النقاش مع أساتذة كبار درسوا الرسالة، وعرضوا ما سنح لهم من الاعتراضات، فأجاب الطالب قدر استطاعته، وكان موفقاً واعياً، ورئيس الجلسة مصغ متيقظ، يسعف الطالب تارة، ويهمس فى آذان المناقشين تارة أخرى، ثم ختم المناقشة بكلمة مشجعة بعد أن أعلن فوز الرسالة بأرقى الدرجات العلمية، وانصرف الحاضرون وقد غنموا من المعارف ما جلّ قدره، وارتفع مستواه.

انصرفتُ مع القوم، ولكنّ خاطرى لم ينصرف إلى أمد طويل عن التفكير فيما رأيت، ومن رأيت، وقد أكبرت الدكتور منصور فهمى إكباراً يرتكز إلى رصيد سابق من المعرفة الفكرية، أيدته المشاهدة العلمية فى محفل جهير، أبان عن سماحة الرجل وهدوئه واتزانه، وسعة صدره لسماع ما لا يوافق عليه من الآراء، وتلك دروس فى الأخلاق العلمية والعملية يجب أن يلتفت إليها أهل العلم لينجوا من آفات الجدل، ومشاحنات اللجاج.

ثم حانت ذكرى المولد النبوى الشريف، وأقامت جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة حفلاً جليلاً لهذه المناسبة، إذ قرأت فى الصحف أسماء من سيتحدثون، ومن بينهم الأستاذ الدكتور منصور فهمى، فنهضت لشهود الاحتفال فى موعده، واستمعت إلى ما قيل من شعر ونثر، وكانت كلمة الدكتور منصور فهمى موضع انتباه الحاضرين، لأنه قارن بين صاحب الذكرى العطرة والمشاهير من المصلحين فى الغرب ليعلن قدر النبوة المصطفاه، فأضاف الجديد حقاً، على حين اكتفى بعض المتحدثين بترداد ما هو مشتهر معروف، وكان من حظى أن أجد صديقى الأستاذ الدكتور أحمد الشرباصى يدعونى إلى مجلس بالجمعية يحضره صفوة القوم، فسعدت بأن جلست جوار الدكتور منصور فهمى، فابتدأ مشكوراً بتحتيتى، والسؤال عنى، وكأنه أحسّ احتشامى وهيبتى، فشجعنى على الحديث متفضلاً. وأخذ القوم يتفرقون تباعاً، والرجل يُلاطفنى بحديثه عن فيض وترحاب، وقد قلتُ له: إنى سعدت بحضور المناقشة التى رأسها بكلية أصول الدين، فابتسم الرجل ثم فاجأنى بما لم أتوقع حيث قال: إنّه ما تهيب مناقشة رسالة كما تهيب مناقشة هذه الرسالة، لأنه كان يخشى أن يحدث لجاج أو غضب من بعض الذين يضيّقون بالبحث الفلسفى، وله سابقة مثيرة فى هذا المجال، إذ كان رئيساً للجنة مناقشة الدكتوراه التى تقدّم بها الدكتور زكى مبارك عن أخلاق الغزالى بقسم الفلسفة فى كلية الآداب، وقد حضر المناقشة فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ عبد المجيد اللبان، مض علماء الأزهر، وقد تعرّض الطالب لأخطاء وقع فيها الإمام الغزالى، وهذا مالا غُبَارَ عليه، لأن لكلّ عالم مهما ارتفعت مكانته أخطاؤه، بجانب إصاباته الكثيرة، كما أنّ طالب الدكتوراه لا يزال باحثاً ناشئاً، ومن الطبيعى أن يخطئ وأن يصيب.

ويظهر أن نزوة الشباب فى كيان الدكتور مبارك حملته على الاندفاع فى الهجوم، فثار الشيخ اللبان، وواجه الطالب بأسئلة محرّجة، وليس من حقه القانونى أن يتدخل فى النقاش، إذ ليس من أعضاء اللجنة، ولكنى راعيت مقام الشيخ الجليل فسمحتُ له أن يسأل، وطلبت من الدارس أن يجيب، فردّ بما زاد

النار اشتعالا، وحاول شيوخ آخرون أن يتدخلوا بالسؤال وطلب الإجابة، فقلت: إن السؤال قانوناً من حق أعضاء اللجنة، وكان الدكتور طه حسين بين الحاضرين، وليس من أعضاء اللجنة، فتقدم بعدة أسئلة للطالب، ولم أجد ما يمنع من قبول أسئلته، لأنه أستاذ بالكلية، والطالب من تلاميذه، وكان الدكتور يعتمد إحراج زكى مبارك، فقابل أسئلته بتسرع غير حميد، واشتط في نقد الغزالي، وكأنه من وجهة نظره في مستواه العلمى، وطبيعى أن يثور الحاضرون لمسلك الطالب، فرأيت أن أحسم الموضوع، وقلتُ فى صراحة، إن الطالب يواجه الامتحان، وإن من شأنه أن يخطئ ويصيب، واللجنة ترصد كل ما يجيب به، وترى أنها لا تسأل عن النتائج التى قررها الباحث، فهو المسئول عنها، ولكنها فى الوقت نفسه تعلن أنها حين تقدر الطالب لاتقف عند النتائج فقط، بل تنظر فى منهجه العلمى، وطرق الاستدلال، ووسائل الاستنتاج، لتطمئن على معدنه وأصالته، أما الخطأ والصواب فمتوقعان.

وقد ارتاح الأستاذان محمد أحمد جاد المولى، وعبد الوهاب النجار - وهما من أعضاء لجنة المناقشة - لما أبديت، ولكن الشيخ النجار كان أرحم بالطالب وأرفق، فصاح بالحاضرين، إننا جميعاً نبجل الإمام الغزالي ونقدره، والطالب كذلك يضعه موضع التقدير، ولولا ذلك ما خصه برسالة علمية أخذت عدة سنوات من عمره الدراسى، وانتهزت كلام الأستاذ النجار رحمه الله، فقلتُ، إن الشيخ أصاب موقع الحق، وأضيف إليه أن عيب الدارس أنه نظر إلى الغزالي بمقياس عصرنا الحاضر، وهذا خطأ، لأننا نحاكم كل مؤلف بمقاييس عصره التى انتهى إليها فى زمنه الغابر، بدون أن ننكر سابق فضله، ورسين عقله! فإذا كشفت العصور المتتابة عن أخطاء لم يهتد إليها من قبل، فحسبه أنه كان مبرزاً فى عهده، وقلت إن تقدم البحوث الطبيّة فى العصر الحاضر لايجعلنا ننكر ما قام به أطباء العصور الماضية من جهود - مهما كانت متواضعة - بجوار الفتوح العلمية الحديثة، وكذلك الأمر مع الإمام الغزالي. وانتهت المناقشة بدون أن يهدأ الحوار فقد انتقل إلى الصحف، وكتب فيه الشيخ الدجوى، والشيخ أحمد مكى، ولم أسلم ممّ قالاً،

لذلك توجست خيفة قبل النقاش في كلية أصول الدين، ولكن، الحمد لله، فقد كانت الريح رخاءً بل كانت نسيماً عاطراً.

انتهت الجلسة الطيبة، وخرجت من جمعية الشبان المسلمين وأنا أتوق لمثلها، حيث أفدت كثيراً من هذه النظرات الصائبة، وذاك التدفق في التعبير على وجه سمح لانقطاع لرافده، وكأن غديراً يترقرق من حديث الدكتور، وكأن الله عز وجل قد شاء ألا يحرمنى هذا الثمر الناضج من الحديث الجذاب، إذ ذهبت ذات ضحى إلى دار الهلال بالمنيرة لأقدم مقالاً أدبياً إلى الأستاذ الكبير طاهر الطناحى، مدير تحرير مجلة الهلال فى أحد عهودها الزاهرة، فوجدت الدكتور منصور فهمى بمكتبه، فسلمت عليه فى أدب، وتهيبت أن أبدأه الحديث، ولكنه قال فى لطف: إنه يذكر لقائى معه، ولكنه لا يدرى أين كان، فقلت له: هما لقاءان لالقاء، وحدثته عن سعادتى التامة برؤيته التى اعتبرها مغنماً فكرياً جزيلاً، فانبسقت أساريه، وتألقت الابتسام فى ثنيتيه، فوجدت الفرصة سانحة لأن أقول له: عندى سؤال ياسيدى يتعلق بك، ولن أجد جواباً عليه من غيرك، فقال: أهو سؤال طارئ أم سؤال تدّخره من قبل؟ فقلت: يعلم الله أنى أدّخره من سنوات، فقال، ولم لم تكتب إلىّ به، فسكت متطلعاً، فقال: هلم، قلت: إنى أقرأ على مدى ربع قرن بحوثاً ومقالات أدبية لك فى مجلات الهلال، والمجمع، والمصور، والمعرفة، وغيرها من كبريات المجلات العربية الرصينة، وكنت أنتظر أن تقوم بجمعها فى كتب مستقلة كما يفعل العقاد، وطه حسين، وأحمد أمين، كما أعرف أنك تُدرّس للطلاب مادة الفلسفة منذ أكثر من عشرين عاماً، ولم تشأ أن تخرج كتاباً للناس يجمع خلاصة هذه الدروس كما يفعل تلاميذك الذين تخرجوا على يديك ثم صاروا زملاء بقسم الفلسفة فى كلية الآداب؟

نظر الدكتور إلىّ وفى وجهه حيرة عرفتها من ملامحه، ثم قال: إنهما سؤالان لاسؤال، سؤال يتعلق بمقالات المجلات، وسؤال يتعلق بدروس الفلسفة بالجامعة، أما ما يختص بمقالات الصحف فأصارحك أنى بعد أن أنشر المقال أجد فيه كثيراً من نواحي النقص، فأشبح عنه، وقد قمت بنشر بعض الخوارج النفسية التى

ظهرت في جريدة الأهرام ما بين العشرينيات والثلاثينيات في مجموعة تحت عنوان (خواطر نفس)، فصادفت ارتياح الناقلين، وتلقيت عنها عشرات الرسائل المشجعة، ولكن لا أدري لماذا حين أعاود قراءتها أجد بها من الاقتضاب تارة، ومن الخلل تارة أخرى ما يجعلني أعتقد أنني تسرعت في نشرها، وقد هممتُ في أحيان كثيرة أن أجمع مقالات الهلال وحدها وهي تكفي للمء خمسمائة صفحة، فكنْتُ أجمع الأعداد وأعيد قراءة ما كتبت فأحسّ بفتور يضعف من عزيمتي، أما مقالات مجلة المجمع فهي مستريحة في أماكنها الآمنة، لأنها للخاصة، والخاصة وحدهم، وهم يحرصون على كل عدد يظهر من هذه المجلة الرّصينة، هذا عن السؤال الأول، أمّا السؤال الثاني عن دروس الفلسفة بكلية الآداب، فالأصل في التعليم الجامعي أن يكون للمادة عدة مراجع قديمة وحديثة يُنبه إليها الأستاذ طلابه فيفسعون إلى دراستها، ثم يكتبون الخلاصة الدقيقة بعد الائتناس بما قاله الأستاذ في محاضراته بالكلية! هذا هو الأصل المنطقي، ولكنّ بعض الأساتذة يوفّر على الطلاب عناء البحث، ويقوم هو بطبع ما يقوله. وتوزيعه على الطلاب، وفي أحيان كثيرة تقوم دار من دور النشر الكبيرة، فتطبع الكتاب وتوزّعه على الطلاب وعلى غيرهم من جمهوره القراء. وبالنسبة لدروس الفلسفة بالذات فإنّي أتساءل: هل يقدّم مثلي أو أحدٌ من زملائي جديدًا يباهى به، ويقدمه مطبوعًا للقارئ؟ إنّ الذي نقوله في هذا المجال هو مقرراتٌ مشتهرة يعرفها دارسو الفلسفة في كليات الغرب، وإذا كانت هناك زيادة ما، فهي تعقيب أو توضيح أو تفصيل أو اختصار، فقل لي بربك: ماذا يُنسبُ لأستاذ الفلسفة من الفكر حين يكون عالماً على سواه في كلية مبتدئة، وأقولُ مبتدئة بدون خجل، لأن الدراسة الجامعية عندنا في دور الطفولة بالنسبة لدراسة الفلسفة في كليات أوربا، مع استثناء دراسة الفلسفة الإسلامية، فقد استطاع الأستاذ الأكبر مصطفى عبد الرزاق رحمه الله أيام كان أستاذ المادة بالكلية أن ينقلها من حيز إلى حيز، فأضاف إليها ما ابتكره علماء الإسلام في علمي الأصول والكلام!

ثم سكت الدكتور قليلاً ليقول بعد ذلك: أنا الآن أُدرّسُ لخمسة طلابٍ فحسب في السنة الثانية بالدراسات العليا، ومهمّتي أن أحدّد الموضوع، وألخص ما قيل

فيه، ثم أذكر مراجعه فى الفرنسىة، وأدعو كلّ طالب أن يبحث هذه المراجع، ويكتب عنها ماناقشه فى الدّرس الأسبوعى على مدى العام، والمشكلة أمامنا مشكلة «الاصطلاحات»، إذ تُوجد فى الكتب الأوربية «اصطلاحات» لانعرف مطابقتها فى الكتب العربية، وفى مجمع اللغة بمصر لجان تبحث هذه المصطلحات فى الفلسفة وفى غيرها من العلوم، وستؤتى ثمارها بعد حين . .

جاء دورى فى الكلام، فقلتُ: إنّ أبواباً كثيرة من التفكير قد فُتحت أمامى حين شرفتُ باستماع حديثك، على أنى أقول: إنّ ما قرأته فى مجلة الهلال بقلمك الرصين يُضارع ما يكتبه كبار الأدباء فى العالم الغربى، فإذا كنتَ تلاحظُ بعض النقص، فلاشكّ أنّ أمثال العقاد، وأحمد أمين، وطه حسين، يلحظون فى مقالاتهم ما تلحظ من استدراك، ولكنهم يجمعون ما نشره حرصاً على مافيه من نفع جزيل، فإذا قامَ الدكتور منصور فهمى بجمع مقالاته كما عزم ذات يوم، فإنّه سيفيد القارىء العربى، ثم قلتُ: وإذا كنتُ ياسيدى قد أفدتُ من حديثك العفوى الآن ما يتعذر أن أجدهُ لدى كاتبٍ آخر، أتكونُ مقالاتك ذات التفكير المتّدد خاليةً من الصائب السديد؟! من الصائب السديد؟!!

تشعب بنا الحديث طرائق مختلفة، ثم حان الافتراق، ولكن إلى لقاءات أُخرى ذات أرج بهيج .

\*\*\*

## الأستاذ أحمد حسن الزيات

تربعت «الرسالة» على عرش الصحافة الأدبية بالعالم العربي فترة طويلة، حيث كان الأستاذ أحمد حسن الزيات يجمع الصفوة من كبار الأدباء ليطالعوا القراء بأحدث ما يكتبون، وقد تشتعل المعارك القلمية بين هؤلاء الصفوة فيتزاحم المثقفون في قراءة الرسالة في شوق، وتترك هذه المعارك الأدبية من الدوى بين المثقفين، أضعاف ما تتركه المعارك السياسية في الصحف اليومية، لأن قراءة الرسالة في كثرتهم الغالبة على وعى يقظ لما يدور من الأفكار، وقد ظهرت «الثقافة» لتنافس الرسالة، وهي لسان لجنة التأليف والترجمة والنشر، وأعضاؤها هم الذين أسهموا في بناء الرسالة، وساعدوا على ذيووعها، وكان المنتظر أن ينخفض مستوى الرسالة بمنافسة الصحيفة الجديدة، ولكن الأستاذ الزيات جذب إلى مجلته أعلام الفكر في العالم العربي، مع من بقى معه ممن آثروا الرسالة بالبعون الصادق، فكانَ جهد «الثقافة» أن تلاحق «الرسالة» في خطوها الفسيح، وقد نشأت مولعاً بهذه المجلة الرائدة، لأن أساتذة المعاهد الدينية بالأزهر كانوا من أنصارها عن إخلاص متحمس، ولأن أسلوبها البياني قريب مما يحبون من أساليب السلف، وللأستاذ الزيات بلاغته المبدعة، إذ كان مقاله الافتتاحي يشبه الشعر المنثور في صفاء معدنه، وجودة تصويره، هذا إلى اهتمامه، بالذكريات الإسلامية، ومواقف البطولة في التاريخ العربي، واختياره أنفس ما يذاع من الآثار الأدبية في هذا المجال،

اتصالي بالرسالة:

وكنت أتهيب الكتابة إلى الرسالة، وأنا في عهد الطلب، وأرى أن مستواها

الرفيع وَقَفَ على ذوى الدُّرْبَةِ من التمرسين، ثمَّ جاءَ شهر رمضان فكتبتُ مقالاً تحت عنوان (رمضان عند الأدباء)، متحدثاً عن الصلة المفقودة بين فريق من الشعراء والكتاب، والشهر الكريم، ومستشهداً بطرائف مما قيل فى هذا المجال، وهتفَ به أمثال البحرى، وابن الرومى، وبديع الزمان الهمذانى، وابن الراوندى، وبعثتُ المقال للرسالة، فنشره الزيات سريعاً قبل أن تضع مناسبتة، وكان المقالُ ذا حجم كبير، فلم تضقُ به الرسالة، ولم تحاول أن تختصر منه شيئاً! وكان ابتهاجى كبيراً بنشر المقال، إذ جعل لى من الثقة ما دفعنى إلى مواصلة الكتابة بدون انقطاع.

وما أذكره عن مقالاتى الأولى بالرسالة أنى كتبتُ بحثاً تحت عنوان (من أخلاق البحرى) فى ثلاث حلقات، وبعثتُ به إلى الرسالة، ومعه «ظرف» عليه عنوانى الخاص، ليتفضل الأستاذ الزيات بإخبارى عن وصول البحث، ولم يضمن الأستاذ بالمراسلة، بل كتبَ يقول، إنَّ فى بعض التعليقات ما يخرجُ من النقد إلى الهجاء، لذلك يرى أن أختصرَ المقالات إلى اثنتين، وأن أحذف العبارات القارصة التى تُسئ إلى البحث، مكتفياً بذكر الحوادث المُجرَّدة، فهى تُغنى عن التعقيب المسئ! وقد استجبتُ إلى ما قال الزيات، وحررتُ البحث من جديد، ففضل بنشره، ثم بادرتُ بإرسال مقال آخر تحت عنوان (عمر بن الخطاب الأديب) وحملته بنفسى للرسالة، وكانت فرصة طيبة للقاء الأستاذ، وكان مكتبه حينئذ خالياً من الزوار، فطلب منى أن أقرأ البحث، فأرتضاهُ ووعد بنشره، ولكنى قلت له: إننى لم أُسرف فى التعليق على الشواهد، عملاً بما نصحنى به الأستاذ من قبل، فقال لى الزيات: هنا موضع الخطأ، لأنَّ التعليق على آراء الفاروق الصائبة مدعاة ارتياح، وليس كالتعليق على انتهازيَّة البحرى ووصوليته، وإن مقصدى من توجيهى السابق، أن ترتفع عن الهجاء، وتقدِّم ما يدعو إليه، تاركاً للقارىء أن يكمل ما تريد! وقد سعدت بملاحظة الكاتب الكبير، وحاولت التقيّد بها فيما سأكتب.

### الحكم بالكفر:

توالى مقالاتى وقصائدى بالرسالة، وقد كتبتُ بحثاً (عن المرأة فى شعر

الرصافي) ذكرتُ فيه بعض ماقال الشاعر، وكان من بين ما قال (مظلومةٌ حتى بميراثها) ونُشر البحثُ في حينه، ثم ذهبت بعد قرابة نصف عام من نشره إلى زيارة الأستاذ، فوجدتهُ يبتسم قائلاً (سأدخل معك النار يا رجب) فدهشتُ لما قال الزيات، ورأى الحيرة في وجهي، فقال إنَّ شيخ الإسلام في تركيا العلامة الكبير (مصطفى صبري) أصدر كتاباً تحت عنوان (موقف العلم والعالم من الدين) وذكر في الجزء الثاني منه أنَّ مقال الرصافي يكفر كاتبه وناشره، وإذا حكم شيخ الإسلام في دولة الخلافة بكفرنا، فالويل لنا.

سكتُ ولا أدري بماذا أجيب، ولكنَّ الرجل طلب لي فنجاةً من الشأى لأهدأ، وقال لقد امتُحنت بشيخ الإسلام مصطفى صبري، ووكيل المشيخة زاهد الكوثري، حيث واصلت الحملات على الرسالة في تشنج لا أدري مآتاه، وقد بدأ شرُّ هذين يوم أن نشرت الرسالة مقالاً للأستاذ محمود شلتوت عن نزول عيسى، إذ اتجه الشيخ المدقق إلى عدم وجود نص صريح في هذا النزول، وأدلى بالحجج الدامغة، وهو من كبار المجتهدين في عصره، ولكنَّ الشيخين هبَّا هبةً الثائر المحنق، وظلَّت صحفُ العوام تنضح بأهاجي الرسالة وصاحبها، وتعدُّها لساناً من لسان التبشير، ورأيتُ أن أبتسم بدل أن أغضب، وكان في مقدرة أحدهما أن يُرسل رداً موضوعياً للرسالة، فأسارعُ بنشره عرضاً لوجهة نظرٍ مقابلة! ولكنهما لم يرداَ إلاَّ بالسباب والشتائم، وهما يعلمان أن الرسالة ليست مجالاً للأوضار والأقذار، فأخذنا يشتمان من بعيد! ولنا الله.

قلت إنَّ الذي يهاجم شلتوت والزيات من السهل عليه أن يقول عني مايشاء! فقال الأستاذ: لقد هاجما الأفغانى، ومحمد عبده، والمراغى، ورشيد رضا، ومحمد فريد وجدى، ومحمد حسين هيكل، ومن لا أحصى، ومن الإنصاف للزيات أن أقول إنَّ الرسالة قد نعت الشيخ الكوثري بعد وفاته، فنشرت مابعثه أحد الفضلاء في رثائه، وعددتُ ذلك سمواً في أخلاق الرجل، وترفعاً منه عن الصغائر والأضغان.

### في المنصورة:

المنصورة عاصمة الدقهلية، وقد اعتاد صاحب «الرسالة» أن يمضى بها شهور

الصيف، متخذًا مجلسه تحت ظلال شجرة مورقة، كتبَ عنها عدة مقالات تحت عنوان في ظلال الكافورة، وفي مجلسه هذا يفرغ إلى قراءة بريد الرسالة على شاطئ النهر، وكان من عادته أن يرمى بالمقال التافه ليذهب مع التيار الصاخب. وأذكر أن الأستاذ عباس خضر قد كتبَ يقول: إذا كان نهر دجلة بالعراق قد أغرق مكتبة بغداد حين قذف التتار بمجلداتها إلى النهر، فإن نهر النيل قد شارك أخاه، حين رمى الزيات بمئات القصائد والبحوث في موجه المتدافع، والقياس مع الفارق طبعًا، لأن الزيات لم يكن يرمى غير الركيك التافه، ولكنها طرفة تُسجل.

وكم حوى مجلس الزيات في ظلال الكافورة من طرائف نادرة، إذ كان أدباء المنصورة ينتهزون فرصة وجوده ليسعدوا بحديثه، وأذكر أن أحد الشعراء من مدرسى المدارس الثانوية، حاول أن ينشر قصيدة بالرسالة، وتشقّق بالأستاذ محمود البشبيشى، وهو صديق الزيات، ومن كتّاب الرسالة الأفاضل، فحدد له البشبيشى موعدًا للقاء الأستاذ بمجلسه، وجاء الشاعر، فطلب منه الزيات أن يقرأ القصيدة فبدأ قائلًا:

عرضتُ علىّ جمالها وعقارها بتلهّفٍ فأبيتُ أنْ أختارها

فلم يتمالك الزيات أن قال للشاعر قاطعًا قوله: لا أرى فيك ماتستحق به أن يُعرضَ عليك الجمال والعقار؟ وهب أن ذلك قد كان، فلا ينبغي أن يُسجل، لأنّ الشاعر المتصوّن لا يجيز أن يجعل صاحبتَه طالبة راعبة، وهى فى الأصل الطبيعى مطلوبة مرغوبة، لقد عيبَ على ابن أبى ربيعة أن يتباهى بصويحاته، وعده النقاد مبالغًا متخيلاً، فقال الأستاذ البشبيشى: وإذا كان ذلك حقيقة واقعة، فلم لا يُقال؟ فابتسم الزيات قائلًا: أشكُّ فى أنه حقيقة مع ابن أبى ربيعة، وأجزمُ أنه ادعاء مع صديقنا هذا، ثم واصل الشاعر قراءته فجاء بيت مكسور، وكانت فرصة للزيات يتعلّل بها فى إهمال القصيدة.

ومما أذكره من طرائف هذا المجلس، أنّ الشاعر الفكه الأستاذ طاهر أبو فاشا كان يأخذ مجلسه المرح جوار الزيات، ويفيض بما عهدَ عنه من الطرائف والأفكاه،

وحنّ موعِد الغداء، وكان من عادة الزيات أن يأتيه إلى مجلسه من المطعم القريب، فدعاه الزيات إلى مشاركته، ولكنه قال إنه على وعد مع الأستاذ على متولى صلاح أن يتناول معه «الطعمية» فى الغداء، فقال الزيات على البديهة: (الكعكة اللذاعة، تؤكل فى جماعة) وقام طاهر لينقل إلى صاحبه ما قاله الزيات، فارتبك الرجل، وقال: إن الزيات لا يأكل الطعمية، ولكنه يريد ما فوقها! وفوجئ الأستاذ بطاهر وعلى متولى يحملان أطباق الكباب وما يتعلّق به إلى مجلسه، ولم يكن تناول الغداء بعد، فقال لطاهر: ماذا صنعت؟ فقال إن على متولى دفع الثمن اليسير وقرمتُ أنا (بالمشال) فأيهما أكثر عناءً: الذى دفع عدة قروش، أم الذى تصبب عرقاً حتى كاد يموت؟ قال الزيات: وأين الكعكة اللذاعة؟ فقال طاهر لم نرد أن نأكل فى جماعة!

### قصيدة وعتاب:

أرسلتُ إلى مجلة الرسالة قصيدةً تحت عنوان (الموت يتكلّم)، ومضى نصف عام بدون أن تنشر القصيدة، فبعثتُ بها إلى مجلة الثقافة فنشرت بعد أسبوعين، ثم فوجئتُ بعد قرابة شهرين بنشر قصيدتى بمجلة الرسالة، ولم أكن أتوقع ذلك وأرسلتُ بعضُ القراء تعليقاً للرسالة يقول إنها تنشرُ المعاد المكرر، إذ أن قصيدة (الموت يتكلّم) قد نُشرت من قبل بالثقافة، وذكر التاريخ ورقم العدد، وكنتُ غافلاً عمّا كان، فلم أكد أقابل الزيات حتى صاح بى: ما هذا؟ أتبعث لى بقصيدة منشورة بالثقافة؟ قلت: ياسيدى، أنا معذورٌ جداً فيما كان، فقد أرسلتُ القصيدة إليكم منذ ثمانية أشهر، ثم ظننتُ أنها لم تحز قبولكم؛ إذ أبطأ نشرها هذا الإبطاء، فبعثتُ بها إلى الثقافة فنشرتها على الفور، وفوجئتُ بها من بعد فى الرسالة، فوقعت فى أشد الحيرة فماذا أصنع؟ فبدا على وجه الأستاذ ما يدلّ على أنه قبل العذر، ثم قال: لاتعجب إذا تأخر نشر القصّة أو القصيدة لعامٍ بالرسالة، لأنها تتلقّى كل أسبوع سياراً من القصص والقصائد وهى لاتتسع لأكثر من قصّة وقصيدتين فى العدد الواحد، لأن المقال والبحث هما اللذان يشغلان أكثر الصفحات، وقد تركتُ قصيدتك مع أخوات كثيرات حتى وقعت فى يدى مصادفة

فنشرتها، وكان عليك أن تُخبرني بنشرها فأعرف، قلت: لن أبعث بما أرسله للرسالة إلى مجلة أخرى مهما امتد الزمن، فقال الرجل في تشجيع: ولن يمتد.

### فى مجلة الأزهر:

اختير الأستاذ الزيات رئيساً لتحرير مجلة الأزهر، وتهيئه كتابُ المجلة المعتادون، فلم يرسلوا إليه مقالاتهم، واضطرَّ الأستاذ إلى الاستعانة بمن يعرف من كبار الأدباء ذوى النزعة الإسلامية فظهرت المجلة تحمل أسماء كتاب الرسالة، وكانت موضع ملاحظة لدى الكثيرين، فأرسل الأستاذ عبد الله أمين خطاباً يتساءل عن الظاهرة؟ فأين كتاب الأزهر وعلماؤه؟ مع أن المجلة تنطق بأسمائهم؟ وأجاب الأستاذ قائلاً: لقد راسلنا أصحاب الفضيلة العلماء، فلم يلبَّ الدعوة غير عالمين فحسب! فإما أن تظهر المجلة بيضاء، ولاسيبيلَ إلى ذلك، وإما أن أكتبها جميعها وهذا مالا يُطاق، وإما أن أستعين بمن أعرف، وهذا ما فعلت! ثم استعان بتأثير الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر، فتوافدت مقالات الأساتذة من كتاب الأزهر تباعاً.

وقد حدث أمر شاذ قابلهُ الأستاذ بمكتبه، إذ وفد لزيارته بعضُ المتطفلين على الكتابة الدينية بدون علم أو أمانة، وأخذ يخوضُ فى أمور لا يدري عنها شيئاً، ثم تعرَّضَ لسيرة رسول الله ﷺ بما يدلُّ على سوء الأدب، وكان الأستاذ على العمارى يجلسُ فى مواجهته، والزيات أمامهما فى مكتبه، فما كاد هذا المتحدث ينطق بكلمته النابية حتى نهض العمارى، وضربه بكفِّه على وجهه ضربةً جعلته يسقط على الأرض، ففزع الزيات وارتمى بجسده كله على الرجل المضروب ليعوق العمارى عن مواصلة الضرب، وانتهى الأمر بتحقيق ذى أخذ وردّ، والطريف أن بعض أصدقاء الزيات قال له: لماذا دافعتَ عن المضروب وقد أساء لسيرة رسول الله؟ فقال الزيات: كلاً، أنا لم أدافع إلا عن العمارى، لأنَّه فى حماسته وشبابه سيقتلُ الرجل إذا واصلَ الضرب، وهنا يتعرَّضُ للقصاص، فأردتُ أن أحميه من خطرٍ يهدِّده، وانتشرتُ إجابة الزيات، فكانت طرفة!

ومن أعجب ما لاقاه الزيات أثناء رياسته لتحرير مجلة الأزهر أن أحد العلماء من

سارت لهم شهرة في الكتابة ذهب إلى مكتبه، وقال له: أنا أحق برئاسة تحرير مجلة الأزهر؛ لأنني أستاذ كبير بإحدى الكليات، ولى مؤلفات ذائعة، ومقالاتٌ مستفيضة، فقال الزيات في هدوء: لقد أنقذتني يا أخي، أنا أرجو فضيلة شيخ الأزهر منذ شهرين كي يعفيني من هذا العبء، وهو لا يقبل، فذهب إليه، وقل له: إنَّ الزيات مستقيل وأنا أريد أن أخلفه، وطار الرجل إلى الشيخ شلتوت، وكان إمام الأزهر حينئذ، فأخبره بما كان، فتعجب الإمام الأكبر من تطاول الشيخ، ولكنه قال له: إذا استقال الزيات فلا بد أن نعرض كتاب الأزهر جميعاً، لنختار من يليق، وفيهم من يرجحك في هذا المجال، إذ لست وحدك، وأرى من الأوفق أن تعتذر للزيات فهو متفضلٌ على المجلة، ولم يكن يريد لها، لولا الإلحاح الشديد!

وظلَّ الأستاذ قائماً على تحرير مجلة الأزهر، حتى لقي ربه، فبكاه تلاميذه الكثيرون، وظهرت كتب خاصة بأدبه وتأثيره في المحيط الثقافي، لأنَّ دوره الكبير حفظ له مكانه بين أعلام العصر الحديث.

\*\*\*

## العلامة الأديب المجرى عبد الكريم جرمانوس

كان أستاذنا الدكتور إبراهيم محمد نجا يدرس لنا فقه اللغة بكلية اللغة العربية، وكان يستشهد كثيراً بأراء صديقه العالم الأديب المجرى الأشهر الدكتور عبد الكريم جرمانوس، ويقول: إنه حظى بزمالته أيام كان يتردد على كلية اللغة طالباً زائراً، ثم امتدت علاقته به، حتى صار يُذكرُ معه دروسه الأزهرية في النحو والصرف والبيان في أوقات كثيرة من أيام الأسبوع، وما يذكر عنه أنه كان يتردد على حلقات القسم العام بالجامع الأزهر أيام كانت هذه الحلقات تضم (الطلبة) الغرباء من شتى بقاع العالم الإسلامي، وقد لفتَ نظره أن الدارس المجتهد «جرمانوس» أخذ يستمع إلى الدرس الواحد ذى الموضوع الواحد فى النحو والبلاغة من عدة مدرّسين، مع أن الأصل أن يعكف الطالب فى المادة الواحدة على أستاذ واحد، كيلا يتبدد وقته هباءً، ولكن جرمانوس شرح وجهه نظره، وهى أنه يقارن بين ما يسمعُ ومن يسمع فى الجانبين ليعرف أوجه الزيادة والحذف، وبهذه المقارنة تثبتُ المادة.

هذا ما قاله الدكتور «نجا» عن «جرمانوس»، وفيه ما يدل على أن الطالب لم يأت للأزهر ليفهم فقط، بل لينقد ويرجح، مهما كانت المادة العلمية جديدةً عليه، وهى روح علمية عالية لا تُتاح لغير النوابع. ثم مضت الأيام، وأخذت مقالاتُ الدكتور «جرمانوس» تُنشر فى المجلات العربية الراقية، وأخذ العلماء يتحدثون عنه عالماً يدرس أكثر من سبع لغات شرقية وغربية دراسةً متمكنةً، بحيث يستطيع أن

يُحاضر ويؤلف بكلّ منها في سهولة، وإذا كانت كلّ لغة من هذه اللغات تحفل بالمؤلفات والأعلام والآراء والمذاهب، فإنّ عقلية «جرمانوس» قد اتسعت لفيض زاخرٍ من نتاج الفكر الإنساني لا يُتاح إلا لأفراد، ولا أدري لماذا كنت مشغوقاً بالرجل منذ حدثنا عنه أستاذنا الدكتور إبراهيم نجبا، حتى أذن الله، فتوثقتُ صلتى الشخصية به، ولكن كيف؟

### أبو العلاء وابن شهيد:

كنتُ نشرتُ بحثاً بمجلة الأديب اللبنانية عن الصلة بين رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي، ورسالة الغفران لأبي العلاء المعري، وقد انتهيتُ إلى أنّ ابن شهيد هو الذي أثر في أبي العلاء على عكس ما يرى الكثيرون، وقدمتُ من الأدلة المنطقية ما يؤيدّ هذا الاتجاه مستنداً إلى نصوص من رسالة التوابع والزوابع تأكّد وصولها إلى أبي العلاء قبل أن ينشئ رسالة الغفران، وما كاد البحثُ ينتهي إلى يد الدكتور جرمانوس، حتى بادرنى بخطاب طويل يؤيدّ وجهة نظري، ويعترفُ أنها عدلتُ من رأيه كثيراً في ضوء ما قدمتُ من الأدلة، وقد فرحتُ بخطاب جرمانوس لأنّه زاد من ثقتي في نتيجة البحث المشار إليه، كما فتح لي بابَ التعرف إليه، وقد كتبتُ عنه مقالاً بمجلة الحج السعودية يعلنُ تقديري لمواهبه، ويعرف برحلته إلى الحجاز التي نشر بعضَ فصولها بالعربية في مجلة الرسالة، وقد تفضّل الأستاذ وديع فلسطين فسارعَ بإرسال مقالِي إلى جرمانوس بجامعة بُودابست بالمجر حيث يعملُ أستاذاً للحضارة الإسلامية والتاريخ العربيّ بهذه الجامعة، فأسرع «جرمانوس» بمراسلتي شاكراً ما كتبتُ عنه.

### في القاهرة:

ثم انعقد بعد ذلك مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة، فدعِيَ إليه الدكتور جرمانوس؛ لأنه عضوٌ مراسل بالمجمع، وتلقيتُ برفقةٍ منه يُعلنُ فيها وجوده بفندق سميراميس مع السيّدة زوجته، وأنه يودُّ لقائِي، وسرعانَ ما نشطتُ إلى زيارته، وامتدّ الحديثُ معهُ من العصر حتّى بعد صلاة العشاء، وفي هذه الأثناء قدّم إلى

دعوةً باسمى من السفير المجرى لحضور حفلة تكريمية أقامها له السفير، تليها مآدبة للعشاء؛ إذ شاء الرجل الدبلوماسى أن يجمع أصدقاء جرمانوس فى لقاء أدبى بالسفارة بمناسبة زيارته للقاهرة، ولا أدرى لماذا اعتذرت، فقال جرمانوس ضاحكاً: ألا تريد أن أكل معك؟ فقلت: لو تكرمت فإننى أدعوك لزيارتى بالفيوم مع السيدة حرمك لتأكل جميعاً، فنظر الرجل بابتسام، وقال: الفيوم! لقد قرأت عنها، وسأحضر.

وفى هذه الجلسة النادرة حدثت الرجلَ عما قاله أستاذنا إبراهيم نجما بشأن تعدد الدرس الواحد ذى الموضوع الواحد، فأخذ الدكتور جرمانوس بيدي فى قبضة يده، وقال لى: سأحدثك عن عجيبة مُمائلة، فقد أُتيح لى أن أسمع درساً فى فضائل الصوم الإسلامى بالتركية فى مسجد استانبول، فدونتُ خلاصته فى مفكرتى، ثم أُتيح لى أن أسمع بالأوردية درساً فى فضائل الصوم بمسجد دلهى بالهند، فدونت خلاصته فى مفكرتى، ثم أُتيح لى أن أسمع فى مسجد الحسين درساً فى فضائل الصوم باللّغة العربية، فدونت خلاصه فى مفكرتى، ثم طلبت منى إذاعة المجر درساً باللّغة المجرية عن الصوم الإسلامى بمناسبة شهر رمضان، فكتبت الحديث من وحي معلوماتى وخاطرى وأدعته، ثم بدالى أن أراجع إلى مفكرتى التى حوت خلاصة الدروس المتعددة فى اللغات المختلفة، فرأيت من غرائب الاتفاق والاختلاف ما جعلنى أندم على أن لم أكن تلميذاً متنقلاً فى مساجد الإسلام؛ لأدون كل ما أسمع، فأجنى الثمار الشهية من الشرق والغرب، ولكل ثمرة مذاقها اللذيذ.

### زيارة الفيوم:

ذهبت إلى القاهرة بعد يومين لأصطحب الدكتور جرمانوس إلى الفيوم وفق ما اتفقنا عليه، فراعنى أن يحدثنى فى الطريق عن مناطق المدينة السياحية، واعتزاه رؤيتها، وعن رغبته فى الجلوس أمام السواقى الشهيرة، وزيارة أماكن الجمال الطبيعية فى بحيرة قارون وعين السيلسيين، فقلت له: عجباً! من أعلمك بهذا كله

عن بلد لم تسمعُ به إلا منذ يومين؟ فقال: إنه زار أصدقاءه القاهريين، واستخبر عن المدينة ليكون على بيّنة من محتوياتها، وأن من عادته ألا يزور مكانًا في الشرق أو الغرب إلا قرأ مادون في كتب الرحلات عنه، فإذا لم يجد في الكتب ما يروى ظمأه، سأل العارفين فاستفاد، ثم قال: إنه قرأ بالأمس نبذةً عن تاريخ الفيوم القديم، وعلم أن يوسف الصديق قد أنشأ بها بحرًا لا يزال يحمل اسمه، وهو ما يعرف ببحر يوسف، وأن خصومه هم الذين أجبروه على حفر النهر؛ إذ أفهموا ملكَ مصر حينئذ أن يوسف وهو الوزير قد أهمل إقليم الفيوم، ولم يشقّ به من الأنهار ما يضمن وجودَ الزروع، وينمي الحاصلات، وأدرك يوسف مكيدة هؤلاء فتدارك الأمر، وحفر النهر فصارت البلدة بعد ذلك جنّةً دائية القطوف.

وكنّا في بدءِ موسم رمضان، فاشتراط علىّ أن يكون إفطاره عند الغروب كويًا من اللبن، مع قليلٍ من التمر، فقلت: قد ينفع هذا في السحور، أما في الوجبة الأولى للصائم فمحال، فقال إنه منذ خمسة أعوام لا يفطر في رمضان على غير اللبن والتمر، مراعاةً لشيخوخته؛ لأنه يزحف إلى التسعين، وبعد حوارٍ قليلٍ استجبتُ إلى ما أراد على كرهٍ، وأحضرتُ طعامي مع طعامه لأغريه، فما استجاب.

وكان الأستاذ محمود تيمور القصاص الأشهر قد كتب مقالًا عن جرمانوس ذكر فيه أنه أكل نهم، وأنه رأى حملاً مشويًا ينضج على النار، والسّمّن يكسوه من كل مكان، فما استطاع أن يصبر حتى ينزل من مقرّه فوق الجمر المتهب، وأخذ يمتلخُ قطعًا من اللحم ويزدردها على سخونتها الحارّة، فتذكّرتُ ما قال تيمور، وحدثتُ الدكتور به، فضحك في سرور، وقال: صدّقَ تيمور، لقد كان ذلك قبل ثلاثين عامًا عند زيارتي الأولى لمصر، وكنتُ سليم المعدة لا أشكو من الحموضة مهما أفرطتُ في الطعام، أمّا الآن فقد أجبرني الزمن على أن أتحمّظ، وقد استمرت زيارته للفيوم يومين، طاف بها معي فيما رغب من الأماكن، وحين رأى المنحدرات النباتية ذات الشجر الظليل في عين السلسيين قال إنها قطعةٌ من رياض سويسرا، وكانّ الغرب قد انتقل إلى الشرق، ولا تزال رناتُ حديثه البديع تغمرُ أذني بتسلسلها المطرد مهما بعد الزمن.

## مصر والعامية:

شكا جرمانوس إلى ملاحظه من انتشار اللغة العامية في مصر، وقال إنه تعلم اللغة العربية أول ما تعلمها من القواميس، وحين شرف باعتناق الإسلام في الهند، وأعلن ذلك في مسجد دهلي، إذ خطب الجمعة وشرح دواعي إسلامه، رأى من الضروري أن يتقن العربية لغة القرآن، فبذل جهده في المجر مستعيناً بمعجم اللغة، ثم بداله أن يحضر إلى الأزهر الشريف ليتلقى الشريعة واللغة معاً، وحين وصل إلى الإسكندرية، وقدم جواز السفر بعد نزوله من الباخرة تكلم بالعربية الفصيحة التي درسها من قبل، فأخذ السامعون يتضحكون ويعجبون، ثم يردون عليه بالعامية التي لا يفهم منها شيئاً، فجعل يضربُ كفاً على كف، ويقول: لقد خفتُ أن أتحدثَ بغير العربية فأكون أضحوكة في مصر، فلماً تحدثتُ بها صرتُ أضحوكة!! ولكن الذين ضحكوا منه في إدارة الجوازات لا يساوون شيئاً جواراً من قابلوا الضيفَ بمظاهر التكريم من كبار الأدباء والعلماء؛ إذا أُقيمتُ له حفلاتُ الاستقبال في جمعية الشبان المسلمين، ودار الهداية الإسلامية، كما سعد بصداقة أعيان الفكر، وقادة الأدب، فأنزلوه أحسنَ منزل، وهيئوا له الالتحاق بمعاهد الدراسة العربية، حتى أتقن اللغة إتقانَ المتمكن، وكتب فصولاً قيمةً بها، كما اختصَّ بعالم أزهريّ كان يسهر معه في مسكنه الخاص بحىّ الحسين، ليقراً معاً كتب الشريعة واللغة والعقيدة، ثم اصطحبَ فريقاً من محبّي الآثار، من فرعونية، وإسلامية، ليبلغوه ما يريد رؤيته في المتاحف والمعابد والمكاتب، والمزارات الإسلامية؛ إذ كان الرجل لا يكتفى بالدراسة النظرية دون المشاهدة والعيان، بل إن المشاهدة تُتيح له أن يدونَ من المذكرات الشخصية ما يضيف الطريف إلى التليد.

## رحلة الحجاز:

رحل جرمانوس إلى كثير من بقاع العالم، ولكن الذي فتن لبه، واستولى على مشاعره مارآه في رحلة الحج إلى البيت الحرام؛ فقد كان يرسم لهذه الربوع

الطاهرة صورةً زاهيةً قبل أن تكتحل عيناه برؤيتها، وكانت أشواقه تدفعه إلى استجلائها عن قرب، فلما تحقق له ذلك أحسّ كأنه نبت في الحجاز منذ نشأته الأولى، وأن الشمس والصحراء والقافلة والجمال والحُداء من أكبر عوامل بهجته وطربه، وكتابه الرائع (الله أكبر) يسجّل خواطره المؤمنة، ويرتفع به فيما يتناول من أحاسيسٍ إلى مرتبة الشاعر المحلّق، ومع ذلك ففكرُ الرحالة الدءوب لم يفارقه؛ إذ كان يسأل رفاق السفر عن كل ما يرى مما يبحث عن تعليله وتحليله، وقد حدّثته عن المقالات التي تُرجمت من كتابه، وقلتُ له: إن حديثه عن الزواج في البادية وفي مكة، وكيف كان يقترن الزوج بمن لا يعرفها إلا بعد أن يعقد القران، وتصل إلى منزله، ثم هي في اللقاء الأول تعتلّ عليه وتحاول أن تضربه بعنف إذا اقترب منها، هذا الحديث الشائق الذي سجّله الكاتب بدقة كان من الغرابة بحيث لا يكادُ يتصوّر؛ لأننا إذا صدّقنا وسلّمنا أنه لم يرها حتى قدمت منزل الزوجية، فمن الصعب أن نتصوّر عراكًا حاميًا في اللقاء الأول، قلتُ ذلك لصاحبي، فذكر أنه أيضًا حار بعض الشيء فيما سمع، ولكنه لم يندهش لأنه قرأ من قبل في رحلة ابن بطوطة أنه رأى بالهند في ليلة الزفاف جماعة من أقارب الزوج يذهبون لإحضار الزوجة، فيجدون جماعةً من أقاربها يقفون أمام المنزل محاولين أن يمنعوا ذهاب العروس، ويدور نقاشٌ حاد، تعقبه معركة بالأيدي، ثم يطول اللجاج حتى يتدخل المحايدون فيستميلوا أهل الزوجة كي يأذنوا بذهاب العروس، ويتم الأمر بعد نزاع يطول، كل ذلك والقران معقودٌ من قبل، والاتفاق تام على أكمل الوجوه، فكيف يُستغرب بعد ذلك أن تتأبى الزوجة عند لقاء إنسانٍ لم تره من قبل؛ لأبد أن تدلّ وتتأبى في استعلاء.

### دفاع عن العربية:

أجمل ما أذكره لجرمانوس بالشكر والتقدير، دفاعه عن العربية في وجه العامية؛ إذ كان يُشنع على من يُحاولون من أبناء اللغة الفصحى أن ينحدروا إلى الكتابة بالعامية، ويرى ذلك قصوراً في الملكة وتفريطاً في رسالة القلم، ويتساءل: أيهما أحسن للكاتب، أن يكتب لبلد واحد، أم للأمة العربية جميعها، ومما قاله في

هذا الصدد أن كاتباً عربياً أهدى إليه قصة كتبها بلغة بلدته العامية، فلم يفهم منها شيئاً، فذهب بالقصة إلى سفير هذه البلدة بالمجر، ففوجيء بأن السفير نفسه يعترف بأنه لم يستطع مواصلة قراءتها؛ لأنها تضم ألفاظاً لم يسمع بها من قبل، وإذا كان المواطن القريب لا يدرك عامية بلده لاختلافها من إقليم إلى إقليم، فكيف الظنّ بالقارئ البعيد؟ ولم يسكت جرمانوس عمّا يحاول الاستعماريون أن يزينوا به انتشار العاميات، قطعاً لروابط الأخوة، وهنّا لوشائج القرى، إذ كشف النقاب عن ذلك في نزاهة وإخلاص. لقد كان عبد الكريم جرمانوس إنساناً صادقاً الحس، نافذ البصيرة، قوى الإيمان، ومثله لا يغيب عن ذاكرة أصدقائه وعارفيه.

\*\*\*